

المخاضة الرفاعية

عن

السنة المحمدية

تأليف

محمد إسماعيل بن علي الجبالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

طبع على نفقة رابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
ويعد . . .

ففي العطلة الصيفية من عام ١٣٨٣هـ ، زرت الجمهورية السودانية مع بعض الشبيبة من طلاب الجامعة الإسلامية التي زارت السودان وقامت في أثناء زيارتها بالدعوة إلى الله تحت إشراف الأخ الداعية الشيخ محمد عبد الوهاب البنا المدرس بمعهد الجامعة الإسلامية ، وكنت بصحبتهم من المدينة المنورة إلى بور سودان . وبعد أن أقيمت معهم يوماً واحداً عازمت على السفر إلى الخرطوم لإجراء اللازم في شأن السفر إلى الحبشة بواسطة السفارة الأثيوبية بالخرطوم حيث كنت على عزم لدخول الحبشة لو أراد الله . وجعلت أسأل عن أمهات المدن فيما بين بورسودان والخرطوم فوصف لي بعض من سألته مدينة عطبرة ورغيني في التزول بها إذ وصفها بطيب المناخ وجمال المنظر وكثرة الورشات حتى أنهم يسمونها عاصمة الحديد ، فقطعت تذكرة السفر إليها في طريقى إلى الخرطوم ، ونزلت بها فعلا صباح يوم الجمعة ، وفور نزولى توجهت إلى أحد الفنادق .

وفي طريقى إلى الفندق أوقفنى إعلان جذاب وقد كتب بخط عريض ملون ونصه كالآتى :
(دار النشاط الإسلامى) تقدم مساء يوم الجمعة محاضرة للأستاذ محمود محمد طه تحت عنوان : « المستقبل للإسلام » وراعنى الإعلان وسررت به كثيراً ، أولاً بوجود الدار المذكورة فى مدينة عطبرة . وثانياً بعنوان المحاضرة . وقلت فى نفسى لعل صاحب المحاضرة قرأ لسيد قطب كتابه الفريد فى بابہ المستقبل للإسلام وتأثر به وأراد أن يقدم للناس مضمونه . هذا ما وقع فى نفسى حين قرأت الإعلان ، ولم أخط رحلى إلا وقد حانت صلاة الجمعة . وقصدت الجامع الكبير لأداء فريضة الجمعة وتذكير المصلين بعد الصلاة بما تيسر إلا أن إمام المسجد اعتذر متأسفاً ولم يأذن لى فى التذكير ، وخرجت متأسفاً أنا بدورى مع قبولى عذر الإمام ، ولكنى علمت أن بعض الشباب لم يقنع بعذر الإمام وجعل يتكلم بالاستنكار ، بل جعل أفراد من الشباب يتعرف إلى ويظهر لى التأسف على ما حصل ، وذهبوا بي إلى دار النشاط الإسلامى سابقه الذكر إذ هم من أهلها وأخذوا يحدثنونى عن المحاضرة التى قرأت عنوانها وطلبوا إلى حضورها وأجبت دعوتهم فحضرتها فإذا بمحاضرة الحادية أكثر ما فيها تمويه وتلبيس ولم أملك نفسى فى المشاركة فى مناقشتها على الرغم من أنى غريب فى الدار ، بل رأيت أن الذمة لا تبرأ إلاً بالمناقشة ومحاولة الدفاع حسب الإمكان وقمت بذلك فعلا بعد أن أذن لى رئيس النادى . ولما طالت المناقشة بينى وبين المحاضر اقترح رئيس النادى

بالمناظرة إلا أن صاحبنا اعتذر ولم يقبل ، وفي آخر المحاضرة أعلنت لي محاضرة دفاعية للرد والتعقيب على بعض النقاط الحساسة التي جاءت في محاضراته وجعلت أسجل في مذكرتي بعض النصوص التي حرفها للمناقشة حولها ، وقبل موعد محاضرتي حضرت له محاضرة أخرى ناقشته كما ناقشه غيري ، ولكن بدون جدوى لأنه لا يحاول الرجوع عن فكرته مهما كلفته الحال لأنه ليس من طلاب الحق . ولما أعلنت محاضرتي في الشوارع كالعادة المتبعة بادر بالسفر إلى أم درمان ، وعلى الرغم من غيابه قمت بالقاء المحاضرة وحضرها عدد ضخم ونوقشت كالعادة ، وبعد ذلك طلب مني بعض إخواننا المخلصين من شباب السودان وغيرهم طبع هذه العجالة التي لم أقصد بها إلا الدفاع العاجل عن عقيدة الإسلام وتصحيح بعض النصوص التي حرفها المدعو « محمود » ولما أعلمه فيهم من حب الخير والحرص على الدفاع أجبتهم إلى طبعها وتوزيعها في السودان .

والله أسأل أن ينفع بها ويجعلها فاتحة خير . كما أسأله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم بعيداً عن الرياء والسمعة إنه سميع قريب . وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

محمد امان بن علي الجامي
الجامعة الإسلامية : كلية الشريعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فيقول الله في محكم تنزيله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (التوبة : ١٢٨) .

تمثل تلکم الرحمة والرأفة اللتان وصف الله بهما نبيه في تعليماته الرحيمة ، وتوجيهاته الحكيمة ومن تلك التعليمات إخباره ببعض المغيبات التي أطلعه الله عليها ، لأنه لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى) (النجم : ٣ - ٥) .

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يخبر عن مثل هذه الأوقات المظلمة التي تمر على المسلمين اليوم : « بدأ الإسلام غريباً ، وسعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . وقال في تفسير الغرباء : « هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي » . وفي رواية أخرى : « هم الذين يصلحون حين يفسد الناس » . وقال في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فيأياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » ووجه كون هذه الأخبار رحمة ، إن الإنسان عندما يفاجأ اليوم ببعض آراء الملحدين الجريئة التي تهاجم دين الله المنزل من السماء - ومنهجه الذي ارتضاه للبشرية ، تهاجمه بكل وقاحة ويمتهدى الجراءة والقادرون على قمع هذه الآراء وإيقافها عند حدها ساكتون ولا يثورون غيرة على هذا الدين الذي يدنون به في مثل هذا الموقف يتذكر الإنسان هذه الأخبار الصادقة . فلا يندش كثيراً ، بل يزداد إيماناً على إيمان ، ويقيناً فوق يقين بهذا الدين وعن أنزله وعن أنزل عليه . وقد فوجئنا في مدينتكم هذه (عطبرة) مع الأسف بهجوم عنيف ضد تعاليم الإسلام من المدعو (محمود) تناول فيه العناصر الأولية لهذا الدين في محاضراته التي استطاع فيها أن يخرج كل ما في جعبته بكل صراحة ووقاحة ، ولكثرة النقاط اللاحادية التي جاءت في محاضراته ، سجلت في هذه الوريقات ما استحضرت خشية النسيان ولناقشها نقطة نقطة ونرد شبهاته شبهة شبهة ، مستعينين بالله تعالى .

ومن أخطر ما جاء في كلامه - هداة الله - قوله بأن العبد يترقى حتى يسمى بالاسم الفرد (الله) بدعوى أنه يسمو ويعلو روحياً بالرياضيات الروحية وبالخلوة فيترقى إلى درجة الألوهية والربوبية فيسوغ له أنذاك أن يقول هو (الله) (سبحانه هذا بهتان عظيم) وهذه النقطة هي حجر الأساس في دعوته ، وهي هدفه الأول والآخر ، لأنه يستطيع بمقتضاها أن يسقط عن الناس جميع التكاليف

ويصبح الإنسان حراً مطلقاً لا يخضع للأوامر والنواهي وهذا ما يريده ويدعو إليه وما عدا ذلك من النقاط الكثيرة التي سوف نسمونها فكلها وسائل غير مقصودة إلا أنه سلك في دعوته إلى هذه النقطة مسلك اللف والدوران والتعمية على الناس ، وكان يخلق في أجراء بعيدة لا يدركها عوام الناس وفات المسكين (محموداً) أن الإنسان إذا بلغ تلك المرحلة وسمى (الله) لا يلف عند الحرية المطلقة التي يشهدها (محمود) بسقوط تكاليف الدين فقط ، بل يكون معبوداً لأن الله هو المألوه المعبود وبدنك يورط نفسه في أحوال الشرك من حيث لا يشعر .

النقطة الثانية : هي سقوط الصلاة عن خواص العارفين على حد عبارة الملاحدين ، من يسميهم (محمود) بالعارفين - وهم في الواقع هم الجاهلون - كانوا يتدرجون في هذه المسألة على النحو التالي يزعم الواحد منهم ، أولاً : أنه بلغ مرحلة استطاع أن يستأذن فيها ربه أن يصلي الصلوات بمكة أو بالمدينة ، فأذن له فجلس في أوقات الصلاة بدعوى أنه يصلي في أحد الحرمين ، وإذا ما تأكد أن الناس آمنوا بهذه المرحلة الأولية أعلن بسقوط الصلاة عنه كلياً . إلا أن محموداً لجرأة ولظنه أن الجو صاف قابل لكل ما يلقي فيه ، صرح بالمرحلة النهائية من أول وهلة بدون تدرج فلا يشك طبعاً من في قلبه مسكة من الإيمان ولديه أدنى معرفة أن هذه الطريقة لا صلة لها بهدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم كما يعلم الجميع يصلي بأصحابه في سفره وحضره ، صلى بهم بمبى ومزدلفة وعرفة وفيما بين مكة والمدينة ولا يعلم أنه قال ذات يوم لأصحابه : « صلوا أتم هاهنا وأنا أصلي بمكة أو بالمدينة إذا كان خارجهما » . وهو سيد ولد آدم . وكان صلى الله عليه وسلم كثير العناية بالصلاة وكانت قرعة عينه في الصلاة وكان حكمه صلى الله عليه وآله وسلم على تارك الصلاة بأنه كافر . حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » . ويقول أيضاً : « ان بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » وما ذلك إلاً لأنه قطع صلته بالسماء لأن الصلاة هي الصلة بين العبد وربّه ، ولذا سميت بالصلاة . ولو ذهبنا نسوق الآيات القرآنية التي تدل بمنطوقها : أن الصلاة والخشوع فيها من صفات المؤمنين وتدل بفهومها أن تاركها غير مؤمن . لو فعلنا ذلك لاطال بنا المقام ومن تلکم الآيات الكثيرة الآية : ٣ من سورة البقرة (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . والآية : ٣ من سورة الأنفال (والذين يقيدون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . والآية : ٢ من سورة المؤمنون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى غير ذلك من الآيات .

وقد اتفق الأئمة الثلاثة مالك ، والشافعي ، وأحمد : على قتل تارك الصلاة بعد الاستتابة وإنما اختلفوا : هل يقتل حداً أو كفراً . ولا يعلم خلاف بين المسلمين خلفهم وسلفهم في أن جاحد وجوبها المدعى سقوطها كافر وخارج عن الملة . ومن المؤسف ، بل المبكى أن يتظاهر الإنسان اليوم بسقوط الصلاة عنه وعدم وجوبها عليه ثم يتمكن من جمع الناس له في عدة مدن وعدة أندية ليبيث أفكاره الالحادية بدون مقاومة فعالة ممن بأيديهم السلطة والقوة - هدامهم الله وأخذ بأيديهم إلى الحق - فإننا لله وإنا إليه راجعون . ويحسن بي أن أذكر لكم بهذه المناسبة قصة الجعد بن درهم الذي قتل في عصر

التابعين بعد أن أفتى علماء التابعين بكفره ، وهو لم يقل : أنا الله ولم يفت بجواز ذلك ولم يترك الصلاة ولم يظن في الزكاة إذا ماذا فعل ؟ .

الذى حصل بالضبط أن الرجل ادعى أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ومع ذلك حضر مصلى العيد ليصلى مع المسلمين ، وخطب أمير البلدة خالد بن عبد الله القسري خطبة العيد ، وقال في آخر خطبته : (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجد بن درهم لأنه ادعى أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً) فنزل من على المنبر فذبحه . ذكرت لكم هذه القصة لتذكروا الفرق بين إيماننا وإيمانهم وغيرتنا وغيرتهم ، بين دفاعهم الصحيح ودعوى دفاعنا الذي لا بينة عليه .

النقطة الثالثة - بحث الزكاة : يرى (محمود) أن الزكاة ذات المقادير تشريع مؤقت ملائم للصور الأولى القاصرة ، ولذا لا تصلح لهذا العصر الراقى المتطور ، بل يجب أن تترقى في هذا العصر إلى روح الإسلام وهي العدالة الاشتراكية ، ونمنع بذلك ملكية الفرد ويشترك الناس جميعاً في خيرات الأرض ... هذا خلاصة كلامه . والواقع أن (محموداً) لا فرق عنده بين الأوضاع البشرية وبين المنهج السماوي الذي نزل ليسير العباد عليه دائماً وأبداً والذي لا يخضع لأى تغيير أو تبديل مهما تطور الزمن وتقدمت الأفكار ، وليس بغريب من مثله أن يتفوه بمثل هذا بعد أن استطاع أن يقول يجوز للعيد أن يدعى ذات يوم : أنه هو (الله) وتسقط عنه الصلاة ونحن نؤمن أن الإسلام هو دين العدالة ، ولا عدالة إلا في الإسلام ، وهو دين الانفاق والإيثار (ومما رزقناهم ينفقون) البقرة : ٣ (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر : ٩ . ولا يمنع الإسلام ملكية الفرد أبداً ، بل يحترمها ويوجهها توجيهاً حسناً ، ويوجب على الملاك الانفاق من أموالهم على المحتاجين على ما هو معلوم لدى الجميع وهؤلاء الذين يعترضون دائماً على هذا الوضع الذى عليه الناس من أن بعضهم فقراء وبعضهم أثرياء طبقات مختلفة إنما يعترضون على الله عز وجل في أفعاله ولما اختار الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم للرسالة الأخيرة اعترضه كفار قريش على هذا الاختيار فرد الله عليهم رداً مسكناً لهم ولمن يأتي من بعدهم من كل من يعترض على أحكام الله وأفعاله . يحكى الله ذلك في سورة الزخرف ، الآية ٣١ : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال في تمة الآية : (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) أى ليسخر بعضهم بعضاً ويستخدم بعضهم بعضاً على اختلاف طبقاتهم وعلى ذلك يقوم نظام الحياة :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فالأغنياء يستخدمون الفقراء وهم خدم لهم ، والفقراء يستخدمون الأغنياء وهم في حاجة دائماً إلى الفقراء في اصلاح أموالهم وحفظها وتنميتها ولا يستغنون عنهم وهذه سنة الله في خلقه (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) فاطر : ٤٣ . وذكر صاحبنا الحائر عدة شبه تقضى بسقوط الزكاة في نظره :

أولاً : القول بوجود الزكاة يسوغ ملكية الفرد . والجواب : على هذه الشبهة أن ملكية الفرد أمر ضروري وطبيعي فلا مفر منه . وتوضيح المسألة : أن الله حرم أموال بعضنا على بعض إلا برضاه وطيب من نفسه (لا يجل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه) (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمه يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) وهكذا قال المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، يوم النحر محرماً للأموال بعد إضافتها لأصحابها وما ذلك إلا لأنهم ملكوها ملكاً صحيحاً ومن جهة أخرى أن الله شرع قطع اليد في السرقة ولو كانت الأموال مشتركة بين الناس لما قطعت يده لأن له شبهة في كل جزء من أجزاء الأموال والشبهة تمنع تنفيذ الحدود (ادروا الحدود بالشبهات) .

ثانياً : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك . وهذه شبهة واهية لا تليق إلا على قليل المعرفة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يملك قط مالا يبلغ النصاب وحال عليه الحول ولو حصل ذلك لركبى ، وكان مورد رزقه صلى الله عليه وآله وسلم الغنائم (جعل رزقى تحت ظل رحمى) يأخذ حصته من الغنائم وينفق منها على بيوته وفي قضاء ديونه لأن حياته كلها كانت وقفاً على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة : ونصح الأمة والجهاد في سبيل الله . ولم يشغل بجمع الأموال ولا ببناء القصور .

ثالثاً : أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأخذ منها هو وآل بيته لكونها أوساخ الناس وهذه الشبهة أوهى من التي قبلها ، بل هي كلمة حق أريد بها الباطل وأنى صلة بين تحريم الزكاة على الرسول وآل بيته لكونها أوساخ الناس وبين سقوطها عن الأمة اليوم بعد أن أوجبها الله على العباد وأمرهم بها في عدة مواضع من كتابه مقرونة بالصلاة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة ٤٣ . وفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان مقاديرها والأموال التي تجب فيها وبيان مصرفها . أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خصه الله ببعض الأحكام من الإباحة والتحرير لحكم ومن تنكم الأحكام تحريم الزكاة عليه . وقد يقال - والله أعلم - في حكمة تحريم الزكاة عليه ما يأتي :

أولاً : تقتضى الحكمة عدم الأخذ منها هو وآل بيته إذ لو أخذوا منها لربما احتل أن يقال : إنه إنما أمرهم بها لمصلحة اقتصادية تعود عليه وعلى أهل بيته فاقتضت الحكمة عدم الأخذ منها سداً للباب على هذا الاحتمال والله أعلم .

ثانياً : بأن الله جعل له ولآل بيته حقاً في خمس الغنائم بدل الزكاة وبهذا تُدفع الشبهة ويتضح وجه الحق والله الحمد والمئة .

ولنتقل الآن إلى عرض النصوص التي ساقها وحرفها ليؤيد بها فكرته وليلبس على الناس ، حيث يريهم أنه يستدل بالنصوص على آرائه لتروج عند السذج . فنبداً بالآيات . الآية الأولى قوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) البقرة ٢١٩ . زعم المسكين أن هذه الآية بقيت معطلة لا يعمل بها من حين نزولها إلى هذا القرن ويعلم ذلك أن الآية تدعو إلى العدالة الاشتراكية والوسط الذي نزلت فيه قاصر عن تطبيق هذه العدالة ، وظل يعمل بالزكاة ذات المقادير . أما الآن وقد تقدمت الأفكار البشرية مع تطور الزمن فيجب العمل بها بدلا من الزكاة ذات المقادير ، هكذا يطعن المسكين

بكل جرأة ووقاحة تلکم القرون المفضلة التي شهد لها الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم أنها (خير القرون) حيث يقول : « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ولا خير فيه قطعاً مع التصور في فهم الدين والعجز عن تطبيق الإسلام وهؤلاء السلف الذين يستخف بهم المذكور بما فيهم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف . هم سند هذا الدين ، فإذا طعنوا وانهموا بالتصور فقد طعن الدين نفسه ومن طعن هذا الدين فما عليه إلا أن يلتبس له ديناً آخر وملة أخرى : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران ٨٥ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رغب عن سنتي فليس مني » فلندع هذا الخيط ولنفهم المعنى الصحيح للآية وهو أنك إذا أردت أن تنفق بما زاد عن حاجتك بمعنى أنك تبدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم تنفق في المشاريع الأخرى . هذا هو الأصل في الاتفاق على أساس : اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بنفسك وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .

ولا يمنع هذا أن تؤثر أحكام المسلم على نفسك ان قدرت على الصبر على ذلك ، وليس بواجب أن تصدق بكل ما زاد على حاجتك الضرورية ، حيث وصف الله بالإيمان حقاً من يتفق بعضاً مما رزقهم الله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال ٢ - ٤ . وإذا أردت أن تكون من المؤمنين فما عليك إلا أن تطبق هذه الصفات الواردة في هذه الآيات وغيرها من آيات الكتاب المبين . والآية الثانية قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت : ٦٩ .

حاول (محمود) أن يستدل بهذه الآية على ما يسميه بعلم الحقيقة - أو علم الباطن - بدعوى أن الإنسان يبلغ بالمجاهدة والطاعة - إلى مرحلة تؤهله أن يأخذ عن الله بدون واسطة - وهذه من شطحات الصوفية القديمة - وليست شيئاً جديداً جاء به (محمود) ولا يدعى هذه الدعوى - إلا الزنديق الذي يحاول أن يخرج على رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولو كان ذلك جائزاً - لكان أبو بكر رضى الله عنه أولى بذلك لأنه أفضل هذه الأمة ، بعد نبيها صلى الله عليه وسلم .

بهذه المناسبة نخطبكم علماً أن هذه الآراء الشاذة التي يدعو إليها هذا المسكين المتخبط ليست من بنات أفكاره - كما يظن بعض الناس - وإنما هي آراء بالية أخذها من بطون كتب الملاحدة إلا أنه يزركشها أحياناً زرركشة ويلونها تلويحاً ليظن الناس أنها من بنات أفكاره .

وبعد فلذنبهم الآن المعنى الصحيح للآية وهو أن العبد إذا لازم تقوى الله تعالى وبذل وسعه في طاعته وحاول فهم شريعته فهماً صحيحاً وفقه الله وهداه إلى الصراط المستقيم ويسر له الأسباب في تحصيل العلم ويسر له العمل انصالح وهذا هو معنى قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) إنطلاق : ٤ . وهذا أيضاً معنى الأثر الذي يكرره (محمود) دائماً ظناً منه أنه حديث « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » ولا يدل هذا الأثر - بعد صحته - على أكثر مما ذكر في الآية السابقة . الآية الثالثة : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال : ١٧ .

حاول صاحبنا - كعادته - أن يحمل الآية مالا يحتمل ، حيث أراد الاستدلال بها على تلکم العناوين الكثيرة التي يكررها دائماً الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة ، ومعنى الآية واضح جداً وتوضيحه كالاتي : نفت الآية نوعاً من الرمی عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأثبتت له نوعاً آخر . فالرمی المنفی عنه صلى الله عليه وسلم هو الرمی المقرون بالإصابة ، لأن الله تعالى هو القادر وحده على إیصال التراب الذي رماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحذفه إلى أعین الكفار وإصابة أعينهم كلها بذلك التراب القليل . والرمی المثبت هو الذي بمعنى الحذف ويكون معنى الآية : لم تكن أنت الذي أوصلت التراب إلى أعينهم وأصبتها به بل أنت وظيفتك الرمی والحذف فالله هو الموصل للتراب والمصيب به أعينهم ، هذا معنى الآية لالف ولا تلبیس . والله الحمد والمنة .

الآية الرابعة : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة : ١٢٣ هذه الآية في نظر صاحبنا من أصرح أدلته في الدلالة على ما يزعم هو وسلفه الملحدون - كابن عربي وابن الفارض - في أن للقرآن ظاهراً وباطناً : والظاهر هو الذي يفهمه المسلمون قديماً وحديثاً وهو ظاهر كما يدل عليه اللفظ والمعنى . والمعنى الباطن الذي يدعى معرفته بالالهام من يسميهم بالعارفين . ان الكفار هي الجوارح من العيين والأذنين وغيرهما . وهذا الكلام الصوفي المضحك لا يستحق أن نقف عنده كثيراً لظهور بطلانه ، بل نحمد الله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من عباده .

الآية الخامسة : قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٣ يزعم صاحبنا - هداة الله - أن هذه الآية تخبر أن الذي تم وكل هو انزال القرآن إلى الأرض فقط ، أما التشريع والبيان فلم يتما بعد فهذه جراءة نادرة من (محمود) كعادته إلا أنها جراءة طائشة ووقحة وقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم وآله بالتبليغ والبيان (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) النحل : ٤٤ . وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسالة ربه ونصح لأمته وبين لهم البيان الشافي - بأني هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم - لم يترك شيئاً يقربنا إلى الله إلا بيئته لنا ودلنا عليه كما لم يترك شيئاً يبعدنا عن الله . وعن دار كرامته ويقربنا إلى النار إلا بيئته لنا وحذرنا منه ويقول أبو ذر رضى الله عنه (لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً) لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذى مخلب من الطير ، وعن كل ذى ناب من السباع . وقد أوتى جوامع الكلم ، وأجمل بعض البيانات في كليات تدرج تحتها جزئيات كثيرة وكلما جدت مسألة أو مسائل فلا بد أن توجد لها قاعدة كلية تدرج تحتها تلك المسألة أو المسائل بعد التحقيق وإمعان النظر وهي التي يعبر عنها الفقهاء بـ (عموم الشريعة) أو (عموم النصوص) فأناس درجات ، طبعا في إيجاد المدخل للجزئيات المتجددة في عموم النصوص ، وكان من الانصاف إذا عجز العالم عن ادراج ما استحدثت من المسائل وما سيحدث تحت تلکم الكليات كان من الانصاف أن يسأل من هو أعلم منه إن وجد . وإلا وكّل العلم إلى عالمه قبل أن يتهم الشريعة بعدم الكمال ، وقبل أن يزعم أن البيان لم يتم بعد ، وبهذا ينتهي كشف الشبه

حول الآيات التي لبس بها (محمود) في بعض محاضراته وأرجو إن زال الإشكال وظهر وجه الحق
لنتقل إلى الأحاديث .

الحديث الأول : (رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) .

يزعم بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام عند رجوعه من بعض غزواته
وهذا الحديث قد ضعفه غير واحد من أهل العلم من حيث السند ، وهو غير صحيح من حيث المعنى
أيضاً . وكل من علم مكانة الجهاد في سبيل الله وأجر من استشهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله
الذين هم (أحياء عند ربهم يرزقون) يدرك تماماً أن البون شاسع بين هذا الجهاد الذي هذه
مكانته (وبين الجهاد الثاني الذي هو مخالفة الهوى وحمل النفس على الطاعة مع العلم أن من قام بجهاد
الكفار وخاض المعركة لإعلاء كلمة الله فقد جمع بين الجهادين والأمر واضح ولا حاجة إلى الإطالة .

الحديث الثاني : (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وقد ذكرت في بعض مواقفي
– مع صاحبنا أن هذا الكلام ليس بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا قول صحابي ولا تابعي
بل هو قول أبي سعيد الخراز – أحد الصوفية – كفى الله المسلمين شرهم . كما ذكرت أنه غير
صحيح من حيث المعنى إذ لا يعقل أبداً أن تنقلب حسنة من الحسنات التي يثاب عليها زيد من الناس
وهو في درجة الأبرار – سيئة في حق عمرو – وهو من المقربين – وقد حاول صاحبنا أن يجد
لهذه القاعدة الخرازية مثالا في الشريعة ، واني له ذلك ؟ وقال بعد أن فكر طويلا – إلا أنه تفكير
غير موفق : لو تصديق إنسان بصدقة سرية لم يطلع عاينه أحد ثم حدثته نفسه ، وأعجب بنفسه يكون
هذا العمل حسنة بالنسبة لهذا الإنسان إلا أنه يعد سيئة إذا ارتفع إلى درجة المقربين لما دخل فيه من
الإعجاب بالنفس .

هذا ملخص كلامه في محاولته وهي محاولة فاشلة كما ترون . والجواب عنها : إن كان لابد من
الجواب أن يقال الصدقة حسنة في حق كل واحد من الأبرار والمقربين والعجب سيئة في حق
كل واحد منهما ولا إشكال في الموضوع وبالله التوفيق .

الحديث الثالث :

« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفى ؟ فسئل عنه فقال هو الرياء » . ذكر صاحبنا أول هذا
الحديث وسكت عن آخره ، لأنه لا يتفق مع مراده وهكذا يفعل كل مغرض وصاحب هوى مع
النصوص . ثم جعل يفسره على هواه بأن قال : (المراد بالشرك الخفى أن يرى الإنسان نفسه وقد
علمنا المعنى الصحيح للشرك الخفى من نفس الحديث مع أن لفظ الحديث (الشرك الأصغر)
لا (الشرك الخفى) والله الحمد والمنة .

الحديث الرابع : (الظاهر والباطن) جاء ذكر هذين الاسمين العظيمين في الكتاب العزيز
كما جاء ذكرهما وتفسيرهما في السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكثيراً ما يكرر
صاحبنا هذين الاسمين ظناً منه أنهما يدلان على أن للشريعة ظاهراً وباطناً تقليداً لبعض الصوفية
الذين يذكرون الحديث بتمامه بما فيه تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ، للاسمين الشريفين

غيرهما من الأسماء الواردة في الحديث ونصه هكذا : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذا أوى إلى فراشه : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم خالق كل شيء ، قائل الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك إشي أقض عنى الدين واغنى من الفقر » فهل بعد هذا التفسير من تفسير ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . وكان (محمود) يجهل هذا التفسير النبوى أو يتجاهل تجاهل مغرض ويقول بدون روية (كل شيء له ظاهر وباطن ، فالله له ظاهر وباطن . والشريعة لها ظاهر وباطن والإنسان له ظاهر وباطن) وقد ذنن صاحبنا حول هذه المسألة كثيراً ونوقش كثيراً ونقدنا الأمثلة التى أوردها إلا أنه يجيد التهرب والتلمص فلم يستفد من المناقشة والنقد والردود . نسأل الله لنا وله الهداية .

الحديث الخامس : (تخلقوا بأخلاق الله) .

ذكرت لكم سابقاً أن هذا الحديث لا أصل له فى شيء من كتب السنة ولا يعرف له اسناد . ومعناه غير صحيح بيان ذلك : المراد بالأخلاق الصفات قطعاً فالله موصوف بالاعظمة والكبرياء ، وأنه يحي ويميت . . . وهل يجوز للعبد أن يتصف بهذه الصفات ؟ .

الجواب السليم (لا) بالخط العريض . وقد يقول القائل هنا : أليس العبد يوصف بالعلم والقدرة والحياة والوجود وهذه من صفات الله تعالى ؟ .

الجواب أن يقال : ان علم الخالق تعالى غير علم المخلوق وكذلك قدرته وحياته ووجوده .

وتوضيح ذلك فى صفة العلم - مثلاً - علم المخلوق علم مخلوق مثله ، يناسب حاله كان مسبوفاً بجهل ويطراً عليه النسيان ما أكثر ما نعلم شيئاً ثم ننساه ، فهو ناقص غير محيط بكل شيء . أما الرب سبحانه فعلمه قديم قدم ذاته - غير مسبوق بجهل قط - ولا يطرأ عليه نسيان - ولا غفلة - وهو محيط بجميع المعلومات ، وهكذا يقال فى سائر صفاته التى فيها الاشتراك فى اللفظ - كالكرم - والجود - والرحمة - والعفو - والمجبة - والغضب - ونحو ذلك - وهكذا تزول الشبهة ويظهر وجه الحق - واضحاً - فله وحده الحمد والمنة .

الحديث السادس : « خلق الله آدم على صورته » . هذا هو الحديث الأخير من الأحاديث التى ساقها (محمود) ليلىس بها على الناس وهو لم يذكر الحديث بتمامه ، وإنما اقتصر على القدر الذى كان يظن أنه من شواهد كعادته المعروفة . وذلك فاته المعنى الصحيح للحديث ، ومرجع الضمير فى قوله : (على صورته) وتمام الحديث - بما فيه ذكر السبب - كالاتى : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يضرب ابنه أو غلامه ، فى وجهه لطمأً ويقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك . فقال رسول الله إذا ضرب أحدكم غلامه فليتقى الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » .

ومعنى الحديث جد واضح ، ومرجع الضمير ظاهر من ذكر سبب الحديث ، وتوضيح المعنى كالاتى : يقول صلى الله عليه وسلم مؤدباً لأمتة : إذا أراد أحدكم أن يضرب من يجوز له ضربه - ضرب تأديب طبعاً - كالغلام ، والولد ، والزوجة ، فليتقى الوجه ضرباً ، احتراماً بأبني

البشر آدم لأن الله خلق وجه آدم مشبهاً لوجه هذا الإنسان المضروب ، وهذا ما يسميه علماء البلاغة بالتشبيه المقلوب إذا كان المقروض تشبيه وجه الفرع بوجه الأصل ، ولكنه جعل وجه الفرع كالأصل تفتيراً من ضربه ، وكان غرض صاحبنا من ذكر الحديث الاستدلال به على أن آدم فيه صفات من صفات الرب ظناً منه أن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم على صورته - راجع إلى الله - وقد علمت عدم صحة هذا الفهم بمعرفتك المعنى الصحيح للحديث ، فله الحمد والمنة .

أيها الأخ المسلم لا يشككتك في دينك تلبس الملبسين وهزماء التجديد ، وتلامذة الملحدين الذين يتبعون ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التأويل والتحريف ، على حسب أهوائهم ، وإذا ابتليت بهذا النوع من الناس ، وأراد أن يلبس عليك في باب صفات الرب جل وعلا ، بمحاولة تشبيهها تشبيهاً بصفات المخلوق ، أو بتعطيلها ، بدعوى التنزيه ، فاستحضر قوله تعالى : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ . (هل تعلم له سميّاً) مريم : ٦٥ . (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ . وما في معناها من النصوص . ووجه هذه المدافع إلى قلوب أولئك الملبسين فسرعان ما يصرعون ، أو يقعون أسرى في يدك ، فاحسن التصرف في الأسرى ، وكن حكيماً معهم والله ولي التوفيق .

وان ابتليت مرة أخرى بأولئك المساكين الذين يبالغون في حب الصالحين ، وحاولوا أن يحملوك على عبادتهم مع الله - أو من دون الله - بدعوتهم ، والاستغاثة بهم ، والاستعانة بهم ، وسؤالهم كشف الكربات ، وشفاء المرضى ، وطلب الشفاعة منهم ، والتوسل بهم توسلاً بدعياً ، غير شرعي ، وغير ذلك من ما يفعله بعض العوام اليوم ، فبادر إلى النصوص الآتية لتسد بها باب الشرك بالله ، وباب الغلو في الصالحين ، وأحسن التصرف فيها ، وحاول ردهم إلى الحق ، وعالجهم علاج طبيب ماهر بيان ما هو حق لله وحده لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، وبيان حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وحقوق الصالحين رحمهم الله تعالى ، وهذه بعض النصوص (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) الجن ١٨ . (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) الكهف ١١٠ . (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت) الأنعام ١٦٢ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألت فاسأل الله » « وإذا استعنت فاستعن بالله » « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وما في هذا المعنى من النصوص الصريحة الكثيرة . والله ولي التوفيق .

وإذا سلمت في البابين - باب توحيد العبادة - وباب توحيد الأسماء والصفات - فقد سلمت ، ولكن لا تقف عند هذا الحد فقط ، بل كمل لإيمانك بالعمل الصالح بامتنال الأمور واجتناب المنهيات فابتعد عن الآبار الحبيثة المنتشرة هنا وهناك ، ولا توسخ قلبك بالخمير فتهلك ، ولا تقصد إلا بيتك الشرعي ، ولا تبع هواك إلى تلك البيوت الرسخة ، فتهلك وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عن أولئك الذين يتجرعون على فاحشة الزنا وشرب المسكر والترفه والسرقه ،

ونهب أموال الناس ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يتهب نهباً يرفع الناس لها رؤوسهم حين يتهب وهو مؤمن » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

أخي المسلم أكثر الخطوات إلى المساجد ، وحافظ على الصلوات مع الجماعة وعلى حضور صلاة الجمعة دائماً ، يسلم لك دينك .

وأسال الله الكريم رب العرش العظيم ، أن يجعلني وإياكم ممن يقول ويسمع فيعمل - كما أسأل الله تعالى أن لا يجعل ما قلناه وما سمعناه ، حجة علينا إنه ولي ذلك ، والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد امان بن على